فلا تطفيه ظلمة المعصية ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل وظلام
المعصية يقوى حتى يصير القلب مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط
فيه وهو لا يبصره كاعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عزة
السلامة ويا سرعة العطب ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب الى الجوارح
فتغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها فاذا كانت عند الموت
ظهرت في البرزخ فامتلا القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
القبور ممتلئة على اهلها ظلمة فان الله منورها بصلاتي عليهم فاذا كان يوم
المعاد وحشر الاجساد علت الظلمة الوجه علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير
الوجه اسود مثل الحممة فيالها عقوبة لا توازن لذات الدنيا باجمعها من
اولها الى اخرها فكيف بقسط العبد المنغص المنكد المتعب في زمن انما هو ساعة
من حلم والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتقمعها
وتدسيها وتحقرها حتى تصير اصغر كل شيء واحقره كما ان الطاعة تنميها وتزكيها
وتكبرها قال الله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها والمعنى قد افلح من كبرها
واعلاها بطاعة الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية
الله واصل التدسية الاخفا ومنه قوله تعالى ام يدسه في التراب والعاصي يدس
نفسه في المعصية ويخفي مكانها يتوارى من الخلق من سوء ما ياتي به وقد
انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة والبر يكبر النفس
ويعزها ويعليها حتى تصير اشرف شيء واكبره وازكاه واعلاه ومع ذلك
فهو اذل شيء واحقره واصغره لله وبهذا الذل حصل لها هذا الشرف والنمو
والعز فما صغر النفوس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة
الله **فصل** ومن عقوباتها ان العاصي دائما في اسر شيطانه وسجن
شهواته وقيود هواه فهو اسير مسجون مقيد ولا اسير اسوء حالا من اسير
اسره اعدا عدو له ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد اصعب من
قيد الشهوة فكيف يسير الى الله والدار الاخرة قلب ماسور مسجون مقيد
وكيف يخطو خطوة واحدة واذا انقيد طرقته الافات من كل جانب بحسب قيوده

بلغ

قال ابن عطاء السكندري في الحكم كيف يرحل القلب الى الله وهو مكبل بشهواته

القلب

ومثل

ومثل القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الافات وكلما نزل احتوشته
الافات وفي الحديث الشيطان ذيب الانسان وكما ان الشاة التي لا حافظ
لها وهي بين الذياب سريعة العطب فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من
الله فذيبه مفترسة ولا بد وانما يكون عليه حافظا من الله بالتقوى فهي
وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذيبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبة
الدنيا والاخرة وكلما كانت الشاة اقرب الى الراعي فكانت اسلم من الذيب وكلما
بعدت عن الراعي كانت اقرب الى الهلاك فاحمى ما تكون الشاة اذا قربت من
الراعي وانما ياخذ الذيب القصية من الغنم وهي ابعد من الراعي واصل هذا
كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كانت الافات اليه اسرع وكلما قرب
من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله مراتب بعضها اشد من بعض
فالغفلة تبعد العبد عن الله وبعد المعصية اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة
اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله **فصل**
ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فان
اكرم الخلق عند الله اتقاهم واقربهم منه منزلة واطوعهم له وعلى قدر طاعة
العبد له تكون منزلته فاذا عصاه وخالف امره سقط من عينه فاسقطه
من قلوب عباده واذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على
حسب ذلك فعاش بينهم اسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر زري
الحال لا حرمة له ولا فرح له ولا سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر
والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح فاين هذا الالم من لذة
المعصية لولا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين
ذكره ويعلي قدره ولهذا خص انبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر الجميل
الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي ساله ابراهيم
الخليل حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه

بعدم

٢ عنده

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)